بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لقد لفت القرآن الكريم أنظار المسلمين إلى معرفة دينهم ، كي يكونوا علي بصيرة منه ، وأوضح لهم المنهاج المبارك الذي إذا ما تمسكوا به وفقهوه سادوا وانتصروا ، ومكن لهم في الأرض ، وكشف لهم عن مخططات الاحتواء والتبعية وتحريف الاصول الثابته ، ونبه المسلمين عن متابعة اعدائهم والتماس ماعندهم ، وذلك حفظاً لوحدة الأمة، وإتباعاً لأمر الله تعالى.

ومما لاشك فيه أن تيار الفكر الانساني متصل لاينقطع إلا بانتهاء الحياه وقيام الساعة. إلا أن العقل قد يعتريه القصور في فترة من فترات الحياة فينحرف عن الصراط المستقيم الذي رسمه الحق تبارك وتعالى ، سعياً للوصول إلى معرفة الله والتي هي طريق السعادة له في الدنيا والآخرة..

قال تعالى :-

﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ (١)

أي ليتخذ كل انسان الطريق المؤدي الى معرفة الله تعالى بعد أن منحه وسائلها من حواس وعقل وبصيره .

---

(١) سورة الحجرات – جزء من الآية (١٣).

فإذا ما إهتدى الانسان بواسطة تلك الوسائل إلى معرفة الله تعالى فإنه بذلك يحظى بسعادة الدارين ، أما إذا إنحرف عن طريق الهدايه الإلهيه وسار في ركاب الهوى فإنه كثيراً مايضل سواء السبيل ويسلك سبلاً ملتوية ترديه إلى مهاوي التهلكة ..

والحق تبارك وتعالى يقول :-

﴿ وانفقوا في سبيل الله ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة واحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ (١).

ثم يرشده إلى الطريق المستقيم والمنهج السليم فيقول تعالى:-

﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فإتبعوه ﴾ (٢).

ثم ينهي عن سبل الإنحراف، فيقول تعالى:-

﴿ ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾

وطرق الشيطان ما أكثرها ، حيث حذرنا منها المولى عز وجل:- ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم ﴾ (٣).

والواقع أن الفكر الانساني يتأرجح بين تيارين :- احدهما التيار العقلي والذي يرى أن العقل الانساني قادر على تفسير كل شيء في

(١) سورة البقرة - آية (١٩٥).

(٢) سورة الأنعام جزء من الآية (١٥٢).

(٣) سورة النور الآية (٢١).

الوجود. وثانيهما : التيار التجريبي والذي يتخذ من الحواس وسائل لتجاربه ومعرفته لظواهر الكون ويشك في مقدرة العقل على تفسير ظواهر الحياة ومن هنا ينحرف العقل عن مساره وتظهر الخطوره على العقيده والاخلاق والقيم المثلة في سلوك الانسان .

وقد ظهر أثر الانحراف العقلي وخطورته على الفرد والجماعة منذ القدم وتطور على مر العصور إلى وقتنا الحاضر في ظهور حركات ومذاهب وتيارات ظاهرها خدمه الانسان وباطنها يكمن في إفساد العقيدة الإلهية وضياع القيم والأخلاق وبث الإباحية ونشر الإلحاد بشتى صوره في ربوع البلدان الاسلامية والعربية .

من هذا المنطلق كان إختياري لموضوع هذا البحث وهو :-

النصرية في الاسلام

حيث تتدعى هذه الفرقه الاسلام ، وهو منها براء، وتحاول بشتى الوسائل أن تحل ماحرمه الحق تبارك وتعالي تحت ستار الإسلام .

ومن هنا تتساوى مهمه الأمراء والعلماء ويلتقيان لمواجهة واقع مرير لابد من مواجهته حتى لايهلك الكل بفساد الجزء .

يقول الله تعالى:-

﴿ ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون ﴿﴾ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴿﴾ واصبر فإن الله لايضيع اجر

المبده» وهو راعي غنم والذي قضت عليه حكومه الاستقلال بالإعدام شنقاً ١٩٤٦م. وجاء من بعده إبنه مجيب الذي بدوره إدعى الإلوهيه مثل أبيه وكان مآله القتل على يد رئيس المخابرات السوريه سنه ١٩٥١م ومازالت فرقه «المواخسه» النصيريه يذكرون إسمه على ذبائحهم (١).

نظره فى تاريخ النصيرية

والمتأمل في تاريخ هذه الفرقة يجد أنها مرت بمرحلتين .. الأولى كان يتخللها قلاقل ومحن وأذى كثير ، أما الثانيه فنجد أنها كانت محاولات للإصلاح من جانب الحكام ..

ويوضح لنا الإمام ابن كثير شيئاً عن المرحلة الأولى فيقول: يذكر أنه في عام ٧١٧هـ خرجت النصيريه عن الطاعه إذ كان من بينهم رجل أطلقوا عليه اسم محمد بن الحسن المهدى القائم بأمر الله إدعى أنه على بن أبي طالب فاطر السموات والأرض وتارة أخرى يدعي أنه محمد بن عبدالله صاحب البلاد وناصر آراء هذه الفرقة وإستولى على عقول الناس وأغاروا على مدينة جبلة وإستولوا عليها واطلقوا شعارات بعيده عن الاسلام مثل قولهم لا إله إلا علي ، ولاحجاب إلا محمد ، ولاباب إلا سلمان وسبوا الشيخين وخربوا المساجد واتخذوها حانات وأجبروا الناس على أن يقولوا : لا إله إلا علي، وأن يسجدوا للمهدي الذي يحيي ويميت فخرجت إليهم الجموع من العساكر والقوات فهزموهم وقتلوا منهم خلقاً كبيراً (٢).

(١) الحركات الباطنية ص ٣٣٤ وينظر اسلام بلا مذاهب ص ٢٩٦ وما بعدها .

(٢) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٨٢ وما بعدها ط بيروت سنة ١٩٦٦م.

وعندما احتل الفرنسيون سوريا إجتمع الفرنسيون بالزعماء العلويين والنصيريين وحرضوهم على استقلال المنطقة عن سوريا وألبوهم على حكام سوريا وبالفعل أعلنت الدولة الجديده المنفصلة بقيادة سليمان المرشد . وقد أعانه الفرنسيون في ذلك ولكن بعد استقلال سوريا وجلاء الفرنسسن عنها شنت الحكومه حملة داهمت فيها المنطقة وأسرت سليمان المرشد وحوكم وشنق عام ١٩٤٦م وقام أتباعه بتأله إبنه «مجيب» لكن قتل هو الآخر(١) وفي حرب ١٩٦٧م ظهر عطف هذه الفرقة «النصيريه» على اليهود عملياً حيث سلمت الجولان السوريه بلاحرب بعد ن إستولوا على السلطة في سوريا ، وقد ظهر هذا بوضوح في كتاب أصدره الاستاذ سعد جمعه رئيس وزراء الأردن حيث بين كيف سلمت الجولان بسهوله علي يد هؤلاء(٢) . ولعل مايوضح هذه العداوه للإسلام والمسلمين من هذه الطائفه ماصنعوه مع الفرنسيين الغازين حيث قدموا وثيقه لهم يلتمسون فيها عدم جلاء المستعمر عن سوريا ، ويشيدون باليهود في فلسطين ويؤلبون فرنسا ضد المسلمين(٣) .

هذا بالنسبة للمرحلة الأولى التي مرت بكثير من القلاقل والتي صنعتها تلك الفرقة . أما عن مرحلة الإصلاح وهي المرحلة الثانية فنتطرق إليها بشيء من الإيجاز فنقول :

لقد وقعت بعض الحركات الإصلاحية علي يد بعض الحكام والمصلحين منها :-

---

(١) الحركات الباطنية ص ٢٣٤ .

(٢) الحركات الباطنية ص ٢٣٥ .

(٣) الحركات الباطنية ص ٢٣٤ .

١) محاولة صلاح الدين الأيوبي فبعد أن هزم الصليبيين حاول إصلاحهم ببناء المساجد لهم وحثهم على إقامة الصلوات والصيام فأطاعوه ، لكنهم عادوا مره أخرى بعد موته إلى ماكانوا عليه من تخريب للمساجد ورجوع إلى المعتقدات الفاسدة والتي هي ليست من الاسلام في شيء[١].

٢) محاولة الظاهر بيبرس البندقداري فبعد أن هزم التتار شر هزيمة الزم «النصيرية» ببناء المساجد فانصاعوا لأمره وبنوا لكل قرية مسجداً . وكانوا لايدخلونه بل تركوه لمواشيهم ودوابهم كمأوى لهم... وربما إذا جاء الزائر إليها فيحاول إقامة الشعائر بها من أذان وصلاه فكانوا يقولون له حال الأذان . لاتنهق علفك يأتيك بعد قليل[٢].

٣) محاولة السلطان العثماني سليم باشا: فعندما جاء إلى بلاد الشام فاتحاً إستنكر على النصيريه عقائدهم فقاتلهم ودحرهم فهربوا إلى الجبال ، لكنه حاول اصلاحهم بعد ذلك فأبوا إلا الرجوع إلى ماكانوا عليه من عقائد فاسده .. فلا عجب بعد ذلك إذا أفتى علماء المسلمين بكفرهم ووجوب قتلهم ونفيهم بعيداً عن بلاد المسلمين[٣].

٤) محاولة ابراهيم باشا: فبعد أن استولى على معاقلهم حاول اصلاحهم كما فعل السابقون ، ولكنهم أبوا فإستعمل معهم الشدة حتى انصاعوا لأوامره ، ولكنهم عادوا إلى ما كانوا عليه وقاموا بثوره كبيره ١٨٣٤م

---

(١) الحركات الباطنية ص ٣٢٢.

(٢) مهذب رحلة بن بطوطه ص ٦٥ نقلاً من المصدر السابق ص ٣٢٢ .

(٣) الحركات الباطنية ص ٣٢٢ .

هاجموا فيها مدينة الاذقيه وفتكوا بأهلها ، ونهبوا خيراتها ، فجهز لهم ابراهيم باشا حملة كبيرة فعاقبهم بشده وأحرق عددا من قراهم . فأعلنوا الطاعة وأظهروا الإسلام وما إن ضعفت دولته حتى عادوا إلى ماكانوا عليه (١).

٥) كانت هناك بعض الحركات الاصلاحية علي يد رجال منهم مثل الذي صنعه رجل منهم يدعى شعبان في عام ١٩٢٤م حيث حاول ادخال بعض الإصلاحات على فرقتهم. وحثهم على الصلاة والصيام ودعوه النساء لإقامة الشعائر خلافاً لما هو متبع عند أصحاب هذه الفرقة إذ أن من عقيدتهم لاتدين على النساء (٢). وهذه هي بعض الحركات الاصلاحيه التي قامت على يد بعض الحكام ولكن عتوهم وتمسكهم بمبادئهم حال دون تحقيق ذلك.. حتى في عصرنا الحاضر فقد آل اليهم حكم سوريا سنه ١٩٧٠م فأخذوا ينفثون سمومهم ويدعون إلى ألوهية على وفي شهر أيلول من عام ١٩٧٩م قامت مظاهره خرجوا فيها إلى اللاذقية نادو فيها بألوهية على ، وفي إحدى المناسبات قامت إحدى الخطيبات وقالت لحافظ الأسد « أنت الله» (٣).

المصدر السابق ص ٢٣٣ .

(٢) العقائد الشيعية تعريف بالفرق الشيعية ونقدها ص ١١٠.

(٣) محمد كرد على : خطط الشام ص ٢٣٢ جـ ٢ طبعة دمشق.

رأيهم في العبادات المفروضة وعبادتهم الخاصه بهم وتسترهم على عقائدهم « التقيه »

والحق يقال أن هذه الطائفة خارجة عن الإسلام وبعيده عنه تماماً لأن الفرائض والعبادات الإسلامية التي فرضها الحق تبارك وتعالى علينا وعلى لسان رسوله الكريم لا إعتبار لها عندهم كما يخالفون المسلمين في أعيادهم ومواسم عبادتهم ، فهم لايأخذون من الإسلام إلا الإسم فقط .

فالعبادات والفرائض عند النصيرية شأنها مثل شأن الفرائض عند الفرق الباطنية حيث ترى أن العبادات عبارة عن أغلال وقيود وضعت في عنق الانسان الجاهل المقصر من أهل الظاهر ، لأن الدين له ظاهر وباطن ، فأهل الظاهر لايعتقدون بأسرار الحقيقة الالهية التي إطلع عليها أئمتهم وبلغوها من بعدهم .... والحقيقة الإلهية في نظرهم أعطيت لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه الذي عرف سر وباطن هذه الحقيقة وأمن بها ، لذا فقد سقط عنه عمل الظاهر وأصبح حراً وسقطت عنه العبودية والرق ، وهم يعتبرون جميع الفرائض والعبادات الإسلامية بالنسبة إليهم هي ذكر أسماء وأشخاص معينين وليست كما هي معلومة عند أهل الظاهر [1]

---

(١) الحركات الباطنية ص ٣٩ .

والخلاصة

أن النصيرية يزعمون أن للعقيدة باطناً وظاهراً وأنهم وحدهم هم العالمون بباطن الأسرار دون الناس جميعاً .[١]

أما العبادة الحقيقية فهي كما يأتي :-

الجنابة : هي موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني .

الطهارة : - هي معاداة الأضداد ومعرفة العلم الباطني .

الصيام :- هو ضبط السر المتعلق بثلاثين رجلاً وثلاثين إمرأة فلايصومون مثلنا .

الزكاة :- يرمز لها الشخصية سلمان ولايعترفون بزكاتنا بل الخمس لمشايخهم .

الجهاد :- هو صب اللعنات على الخصوم ونشأة الأسرار .[٢]

وهناك نوع أخر من الجهاد هو عبارة عن اخفاء مذهبهم عن غيرهم ولايظهرون أبداً حتى لو أصبحوا في أشد الخطر الموصل للموت .[٣]

الولاية : هي الإخلاص للأسرة النصيرية وكراهية خصومها وكتم أسرارها .

الشهادة : - هي أن تشير إلى صيغه الرموز الثلاثة المعروفة [ع . م . س] .

---

(١) الموسوعة الميسره ص ٥١٤ .

(٢) الموجز في الأديان والمذاهب ص ١٣٨ .

(٣) الحركات الباطنية ص ٢٩٢.

القرآن هو مدخل التعليم الاخلاصي لعلي وقد قام سلمات تحت اسم جبريل بتعليم القرآن لمحمد.[1]

الصلاة : فهي اما جملة أو تفصيلاً . فلو كانت الأولى فتعني السيد محمد صلى الله عليه وسلم ولو كانت الثانية فلها واحد وخمسون ركعه لواحد وخمسون فرضاً ويفسرون هذه الأوقات تفسيراً عجيباً فعلى سبيل المثال اول الأوقات هو الظهر وهو عبارة عن ثمان ركعات ، ولكن الركعات ليس فيها ركوع أو سجود فالركعات هي القاسم ، والطاهر ، وعبدالله ، وزينب ، ورقيه ، وأم كلثوم ، فاطمه الزهراء .

وهؤلاء اولاد الرسول صلى الله عليه وسلم من خديجة بنت خويلد .[2]

وإذا كان المسلمون يؤدون خمس صلوات في اليوم والليله في أوقات مختلفة فإن هذه الأوقات الخمسة عند النصيريين عباره عن خمسة أسماء وهي علي والحسن والحسين ومحسن وفاطمة ، وذكر هذه الأسماء يجزيء عن الغسل والجنابة والوضوء .[3]

والحج في نظرهم له تفسير عجيب لايختلف عن ترهاتهم السابقة فلديهم كتاب يسمى بالمجموع المقدس فيه سورة تسمى البيت المعمور ، والمقصود بها فريضة الحج كالآتي :-

(١) الموسوعة الميسره ص ٥١٥ .

(٢) الحركات الباطنيه ص ٣٩١ .

(٣) مجموع فتاوي بن تيميه مجلد ٣٥ ص ١٤٩ .

المروة :- معرفة أبي الدر وهو عندهم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه .

الصفا :- فهو المقداد بن عمرو [والبيت] هو محمد صلى الله عليه وسلم .

المشعر الحرام :- معرفة سلمان الفارسي . وفي نظرهم أن سعي المسلمين الى مكة لأداء النسك يعتبر من أعمال الظاهر يفعله الجهلة بالباطن لبعدهم عن تعاليم هذه الطائفة . وعليه حج المسلمين الى بيت الله الحرام بمكه باطل ومذموم. (١)

أما النصيريون العالمون بالباطن فلا حج عليهم ......

ويمكن القول بعد ذلك أن عبادتنا لا إعتبار لها في نظرهم ، بل ذكر بعض الأشخاص كالحسن والحسين وعلي يغني عن كل الذي يفعله الجهلة المقصرون من أهل الظاهر .. فالنصيريون ليسوا بحاجة الى المساجد ، بل إنهم يعتمدون في صلاتهم على السرية التامة في أماكن خاصة وبدون وضوء أو طهارة . إذ الاحتلام والجماع لايفسدان الطهارة . بل الذي يفسدها هو موالاة الأضداد والجهل بالعلم الباطني والطهارة ضد ذلك . (٢)

---

(١) الحركات الباطنية ص ٣٩١ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٩٢ وينظر الموسوعة الميسره ص ٥١٥.

والسرية لأن التكتم أول الشروط التي يجب الإلتزام بها ويأتي التهديد والوعيد في المرتبه الثانية لمن يبيح بالاسرار ، وقد يصل الأمر الى القتل أو الشنق أو الحرق كما فعلوا في سليمان الأذني الذي تنصر وهرب الى بيروت وقد سبق الحديث عن ذلك فالذي يبيح بالاسرار له الويل والثبور في الدنيا بعد الموت إذ الأرض لن تقبل جثته وصورته سوف تمسخ الى صورة حيوان أو جماد.

ويعتبر النصيريون التكتم من الميثاق الذي أخذ على النبيين وهو المقصود في قوله « واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسي وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظاً » [1].

فالله تعالى على حد زعمهم أخذ الميثاق وأدخل فيه الكتمان ، إذ قال للانبياء والاوصياء استروا ذلك واكتموه ، لما علم ما في قلوب الاعداء [2].

ويحاول النصيريون الآن أن ينفوا كل ما أذيع عنهم بعد أن ظهر حالهم . فهذا هاشم عثمان الكاتب النصيري في كتابه العلويون بين الأسطورة والحقيقة يحاول أن يهاجم وبشدة كل من كتبوا عنهم كطائفة سواء في الماضي أو الحاضر ابتداءاً من الشهرستاني وابن حزم مرورا بابن تيميه والذي أفتى بحل قتالهم وعدم مناكحتهم واستباحة دمائهم وانهم خارجون عن الملة [3].

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم (٧)

(٢) الحركات الباطنية ص ٢٨٥

(٣) فتوى ابن تيمية وهي فتوى طويلة في الفتاوي جزء ٣٥ ص ١٤٩.

وإنتهاء بالدكتور الشكعة والدكتور الخطيب والدكتور عبدالرحمن بدوي مع أننا نجد الدكتور مصطفى الشكعة يحاول في كتابه أن يقرب بينهم وبين المذاهب الإسلامية الأخرى وينصفهم ويصفهم بالإسلام إلا أنه في نظر هاشم عثمان ليس منصفاً لأنه في نظره لم يعتمد على الأسانيد العلمية الموثقة .

ذكر صاحب الباكوره السليمانيه أن النصيريه يعتقدون بأن محمداً متصل بعلي ليلا ومنفصلا عنه نهاراً ويعنون أن الشمس هي محمد ويعتقدون بأن محمداً خلق السيد سلمان وهؤلاء الثلاث هم الثالوث الأقدس ، فعلي عندهم هو الرب ، ومحمد الابن ، وسلمان الفارس هو الروح المقدس .

فالتجسد عندهم يدور حول هذه الأسماء الثلاثة التي تكون التثليث الشبيه بتثليث النصاري ويرمز الى هذا التثليث عند النصيرية بحروف ع ، م، س ولهذا الرمز موقع عظيم في التقاليد الدينية عندهم [1].

ويقولون : أن الله حل في ثلاثة على بن أبي طالب ويرمزون إليه بالمعنى ومحمد ويرمزون إليه بالإسم ، وسلمان الفارسي ويرمزون اليه بالباب[2].

ويقصدون الغيب المطلق من المعني ، والاسم الصوره الظاهره للمعنى، أما الباب فهو الطريق الواصل الى الغيب المطلق [3].

ويقولون النصيريون : تقدم الى الباب وأركع اما الإسم وأعبد المعنى، وهذا برهان على اعتقادهم بأن عليا أقدس من الجميع [4].

---

(١) العلويون بين الحقيقة والاسطوره ص ٩٣ .

(٢) تاريخ الاسلام السياسي جـ٤ ص ٢٦٦ .

(٣) العلويون بين الحقيقة والاسطورة ص ٩١ . اسلام بلا مذاهب ص ٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ص ٩٢ .

وقد كان قدماء النصيرية يسعون لايضاح هذا الواحد المثلث وتفسيره ويستعينون ببعض مايتمسك به النصاري من الأدلة والبراهين ، وهم يصعدون بعلي الى درجة الألوهية ويلصقونها بكل أساس حاز عنوان المعنى والمعني الذي هو مرادف لكلمة الله . على قيمة خاصة في دين النصيريه، وكما أن يسوع عند النصاري هو كلمة الله فعلي أيضا هو المعنى عند النصيرية ، حتي سميت هذه العقيدة بـ المعناوية (١).

وفيما يتعلق بالسلوك الاجتماعي لدى طائفة النصيرية فإنها قد أضافت الى تقاليدها الكثير من العادات النصرانية كقداس الأطعمة والنبيذ وهو أشبه بالعشاء الرباني ، وكذا إحياء الاعياد الخاصة بالمسيحية ، وفي هذا الصدد يحدثنا د./ حسن ابراهيم - أن النصيريه لايزالون يحتفظون ببعض تقاليد دينية خاصة فيحتفلون ببعض الاعياد المسيحية كعيد الميلاد وعيد الفصح والقيامه ، ويعتبرونها من الاعياد الكبري ، كما أن بعضهم يحمل اسماء مسيحية مثل متي ويوحنا (جون) وهيلانه ، وربما يكون احياء الأعياد والاحتفال بها نابعا من التأثير الاجتماعي حيث الاحتكاك والمعاشرة إلا أنه يضع أيدينا على أن النصيرية كان لديهم الاستعداد لممارسة الشعائر المسيحية والتأثر بها وخاصة أنهم يدينون بالالوهية للامام علي مثلما يدين المسيحيون بألوهية المسيح ويقولون : بتثليث مشابه لتثليثهم .

ومن ثم فالدكتور / حسن ابراهيم يذكر أن كثير ممن جاوروا النصيرية فسروا لفظ (نصيري) بأنه مشتق من لفظ نصراني .

---

(١) غلاة الشيعه ص ٥١٦ ، ٥١٧ .

وهذا التفسير كما يقول د./ فتحي الزغبي – مستبعد طبعا أن الاشتقاق غير صحيح ولكن يدل من ناحيه أخرى على مدى تعلق النصيريه وتأثرها بالعقائد الوثنية القديمه والمظاهر المسيحية حتى أطلق عليهم هذا التفسير [1].

ثالثا: موقف الاسلام من النصيرية

بعد دراسة وتحليل للعقائد النصيرية التي مرت بنا سابقا نستطيع القول بأن الاسلام براء من هذه الجماعة . وإن النصيرية لادين ولاخلق بل هي عبارة عن مهاترات صنعها بعض المارقين والملحدين الذين يتسمون بالفكر المتخلف والبعيد عن الاسلام ....

وفي خلال السطور القادمة نوضح أراء بعض الاساتذه في تلك الفرقة فنرى الدكتور الخطيب يقول : أن هذه الطائفه لا علاقة لها بالاسلام والمسلمين ... وأنه لاعلاقة للإسلام بالنصيرية فالإسلام شيء والنصيرية شيء آخر [2].

ومع ذلك يحاول الكثير منهم في الوقت الحاضر أن يبرهن أمام الرأي العام أنهم مسلمون موحدون . فظهرت كتب وبيانات تدل على ذلك . ولكن كل ذلك لايجدي أمام الحقائق والأعمال التي يقومون بها والتي تدحض كل هذه الادعاءات الباطنيه المزيفه .. وهذا هو العلامة عبدالرحمن العادي يفتي لنا بعدم حل اقامتهم في ديار المسلمين لابجزية ولابغيرها ، بل لاتحل مناكحتهم ولا ذبائحهم [3].

(١) غلاة الشيعة ص ٥١٨ وانظر أيضا (العقيدة والشرعية في الاسلام) ص ٢٤٩ ، وتاريخ الاسلام السياسي جـ ٤ ص ٣٦٥ ، اسلام بلا مذاهب ص ٢٧٤ .
(٢) الدكتور الخطيب/ الحركات الباطنية ص٤١٧ وحاضر العالم الإسلامي ص٢٠٦.
(٣) عبد المنعم سليم جباره النصيرية فى الميزان ص٠٤ كلية الدعوة المركز الإسلامي للدراسات -دار الأنصار.

المراجع

فيما يلى بيان بالمراجع المستند إليها فى هذا البحث :-

أولاً :

كتاب رب العالمين " القرآن الكريم "

ثانياً :

السنة النبوية الشريفة

١- إسلام بلا مذاهب. مصطفى الشكعة.

٢- الإسلام والمرأة المعاصرة. د/ البهى الخولى.

٣- البداية والنهاية. إبن كثير.

٤- تاريخ العلويين. محمد أمين غالب الطويل.

٥- تاريخ المذاهب الاسلامية. الشيخ محمد أبو زهرة.

٦- تفسير القرآن العظيم. إبن كثير.

٧- الجامع لأحكام القرآن. الامام القرطبى.

٨- الجذور التاريخية للنصيرية العلوية. الحسينى عبد الله.

٩- حاضر العالم الإسلامى. على جريشة.

١٠- الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى عقائدهم وحكم الاسلام فيها.

د/ محمد أحمد الخطيب.

١١- حقوق المرأة فى الإسلام. محمد بن عبد الله بن سليمان عرفه.

١٢- خطط الشام. محمد كرد على.

١٣- دراسات فى الفرق. د/ صابر طعيمه.

١٤- رؤية اسلامية فى الصراع العربى الاسرائيلى.
محمد عبد الغنى النواوى.

١٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة. ناصر الدين الألبانى.

١٦- سنن ابن ماجة . ابن ماجة.

١٧- شرح نهج البلاغة. ابن أبى الحديد.

١٨- الشيعة فى التاريخ. الشيخ محمد حسين الزين.

١٩- الشيعة والتشيع فرق وتاريخ. احسان إلهى ظهير.

٢٠- صحيح البخارى . الإمام البخارى.

٢١- العقائد الشيعية تعريف بالفرق ونقدها. ناصر الدين شاه.

٢٢- عقيدة الدروز عرض ونقد. د/ محمد أحمد الخطيب.

٢٣- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام. د/فتحى الزغبى.

٢٤- فتح البارى شرح صحيح البخارى. ابن حجر العسقلانى.

٢٥- فرق الشيعة. الحسن ابن النوبتجى.

٢٦- الفصل فى الملل والنحل. ابن حزم الأندلسى.

٢٧- كتاب الغيبة. الإمام الطوسى.

٢٨- مجموع الفتاوى. ابن تميمة.

٢٩- المدارس الفلسفية اليونانية. د/ عبد المعبود سالم.

٣٠- المرأة في القرآن. العقاد.

٣١- مسند الامام أحمد. الامام أحمد بن حنبل.

٣٢- الملل والنحل. الشهر ستانى.

٣٣- الموجز فى الأديان والمذاهب. ناصر القفار وناصر العقل.

٣٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.
الندوة العلمية للشباب الاسلامى الرياضى.

٣٥- النصيرية فى الميزان. محمد عبد الله الخطيب.
عبد المنعم سليم جبارة.

٣٦- وجاء دور المجوس. عبد الله محمد الغريب.

بسم الله الرحمن الرحيم

من أبرز قواعد الدعوة إلى الله تعالى

إعداد

دكتور / سعيد محمد أحمد قابل

مدرس الدعوة بالكلية

١٤٢٠ / ١٩٩٩م

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً والصلاة والسلام على من بُعث بالحنيفية السمحة ، وتركنا على المحجة البيضاء لايزيغ عنها إلا هالك ورضى الله تعالى عن ورثة نبيه من الدعاة الصادقين الذين أخلصوا لله دينهم وأوقفوا حياتهم لدينهم فسعدت بهم الدنيا ، وأعزهم الله برحمته .

وبعد ...

فتلك نظرة إلى واقع الدعاة - إلى الله تعالى - المعاصر ، والذى يشوبه الفتور والقصور والجهل بقواعد الدعوة إلى الله وأصولها... راعيت فيه لمس الواقع الذى نعيشه، وحاولت قدر استطاعتى أن أشخص ألوان العلاج المتعددة مستعينا بكتاب الله تعالى وسنة نبيه - ﷺ - وبما كتبه علماؤنا فى منهج الدعوة إلى الله تعالى، هادفاً من وراء ذلك كله أن أنبه إخوانى الدعاة إلى طبيعة هذا الطريق العظيم وإلى السبيل الأقوم الذى ينبغى أن يسلكه كل داعية إلى الله تعالى حتى يثمر فى عطائه وتؤتى جهوده التى يبذلها أكلها بإذن الله ...

ولقد جاء هذا البحث فى صورة أصول وقواعد هى فى نظرى أبرز الأصول والقواعد التى وضعها علماؤنا فى هذا الباب ...

أسأل الله تعالى أن ينفعنى بما كتبت، وأن ينفع به كل قارئ، وهذه إلمامه سريعة حول هذا الجانب أرجو من الله تعالى أن تكون عملا كبيراً فى الغد القريب بإذنه تعالى.

والله الهادى إلى سواء السبيل

د/ سعيد محمد أحمد قابل

الأصل الأول

الدعوة إلى الله تعالى فرض عين، وليست فرض كفاية

لقد أوجب الله تعالى على الأمة الإسلامية أن تبلغ دعوة الإسلام إلى الناس كافة، وجعل هذا التبليغ سبب تميزها عن غيرها من الأمم الأخرى.

قال تعالى :-

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١) فهى أخرجت الناس لتأخذ بأيديهم إلى الله، وتهديهم إليه صراطا مستقيما.. تلك هى وظيفة الأمة الإسلامية..

ومن هنا كانت تلك الوظيفة على سبيل الإلزام ، ونصت على ذلك النصوص من الكتاب والسنة أما الكتاب :

[١] فقوله تعالى:-

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾(٢)

و(من) فى (منكم) تفيد «التبيين» (٣) أى بيان وظيفة ودور الأمة الإسلامية الذي ألزمها الله به وكتب لها التمكين فى الأرض بالقيام به أو يسلبها عزتها وقوتها بتركه.

---

(١) آل عمران ١١٠.

(٢) آل عمران ١٠٤.

(٣) وهذا ما سنفصله فيما بعد .

[٢] وقوله تعالي :-

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ (١)

ومعنى الآية ك إن الله تعالى قد عقد صفقة رابحة مع المؤمنين بأن قاتلوا فى سبيل الله ويضمن لهم الجنة وعدا حقا عليه وأن المؤمن الذى عقد مع ربه تلك الصفقة الرابحة لا بد أن تتوفر فيه الصفات التالية :

[١] التوبة من الذنوب صغيرها وكبيرها .

[٢] العبودية لحق لله تعالى .

[٣] الحمد الكثير الطيب المبارك فيه لله والثناء عليه بما هو أهله .

[٤] الصوم فهو سياحة المؤمن .

[٥] الراكعون الساجدون .

[٦] الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .

[٧] والحافظون لحدود الله :-

فالمؤمنون يعمرون الأرض، ويطهرونها من وسخها وأدرانها تحقيق لمهمة الاستخلاف على وجه الأرض، ولن يتم لهم ذلك إلا بأمرين اثنين .

---

(١) التوبة ١١١ - ١١٢.

(أ) صلاح النفس بإكمال فضائلها ، وذلك من خلال التوبة النصوح وتحقيق العبودية الحقة من خلال اللسان الذاكر ، والتجرد من العوائق .

(ب) دعوة الغير إلى الهدى .

وبعبارة أخرى (أصلح نفسك و أدْع غيرك)

فإصلاح النفس فقط وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تكون فتنة فى الأرض وفساد كبير.

وحينئذ نخسر جنة غالية لا يعلم قدرها إلا خالقها عز وجل .

وأما السنة

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

[١] (من رأي منكم منكرا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أعف الإيمان)[١]

وهذا الحديث الشريف يوجب على المسلم أن يتفاعل مع المنكر وأن يكون له رد فعل سريع عند ظهوره ويسعى فى تغييره سواء أكان باليد أو باللسان أو بالقلب على حسب رؤية المسلم للمنكر الذى أمامه، وقد جعل أضعف الإيمان أن يكره مايراه من منكر ، ويظهر ذلك على وجهه ، فيتمعر ، ويترك الكان ، وكما قال القائل ..

إما أن يزول المنكر ، أو نزول عنه

---

(١) مسلم فى صيحه كتاب الإيمان / باب كونه النهى عن المنكر من الإيمان /٢/٢٢-٢٥/عن أبى سعيد.

وحيثما يظهر المنكر فى ويترك له الطريق ممهدا دون أن يحجم ، ودون أن يغمد، فقد تعرض هذا لمجتمع لمقت الله وسخطه، وهذا مايعبر عنه الحديث التالى :-

[٢] (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد المسئ، ولتأطرنه على الحق الحق أطرا ، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ، أوليلعنكم كما لعنهم) [١].

وهذا الحديث يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم فيه لأمتى من ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والأخذ بيد من حديد على يد الظالم وأطره على الحق أطرا جميلا ، وساعتها لو لم تنتبه الأمة المسلمة لهذا التحذير فسوف يعاقبها الله بعقابين أليمين :

الأول : أن يجعل الله بأسهم بينهم شديدا [٢] ويضرب قلوب بعضهم ببعض.

الثانية : أن يعلن الله أمة الإسلام كما لعن اليهود، لأن الله لا يحابى أحدا، وسنته لاتتخلف ، حقت على الأولين وعلى الآخرين .

---

(١) رواه الإمام الترمذى فى سننه.

(٢) وفى ذلك إشارة إلى قول الله تعالى : { قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض } الأنعام ٦٥.

ولقد استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه أن لا يجعل عقاب أمته فى هذا لما نزلت فاستجاب الله فى الأولى والثانية ولم يستجب فى الثالثة والرابعة (انظر فتح البارى فى شرح صحيح البخارى /٨/١٤١-١٤٢) وخوف الله أمة الإسلام أنها إذا تركت هذه الفريضة (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) عاقبها الله بهذا العقاب المشار إليه فى الحدث وهو إضعاف أخوة الإيمان بسبب عصيانهم وطاما وهتو بما أصابوا من منكر سلط عليهم عدوهم فستباح بيضتهم ، وغشيخم من التيه ماغشى بنى إسرائيل لما تركوا العمل بهذه الفريضة .

إن الرسول صلى الله عليه وسلم يستنهض همم المجتمع المسلم ويستنفر طاقته ، أن يأتى صفا واحدا ، لايتخلف منه أحد ، ليقيم الدين لله، ويحارب المنكر، ويأخذ على يد أهله ، ويحملهم على تركه ، ويحملهم على التمسك بالحق، ونقله إلى محيطة حتى لا يعودوا إلى محيط المنكر..

هذه مهمة المجتمع المسلم مع المتهاونين فى أمر الله ، وإلا صاروا أشد منهم بعدا عن الله ، وأقربهم إلى سخطه وغضبه وانتقامه

من هو المكلف بالدعوة إلى الله تعالى ؟

لقد نظر العلماء إلى قوله تعالى :- ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئكم هم المفلحون ﴾[1]

فقال بعضهم إن (من) فى (منكم) للتبعيض ، وعل هذا يكون واجب الدعوة مقائيا على العلماء فقط .

وآخرون إلى أن (من) هنا بمعنى «التبيين» ،وعلى هذا يكون واجب الدعوة فرض عين على كل مسلم ..[2]

والذى أراه ..

أن الدعوة فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، كل فى مجاله ،وعلى قدر استطاعته ، وعلمه ..

(١) آل عمران ١٠٤

(٢) انظر الجامعه لأحكام القرآن للإمام القرطبى مجلد ٢ جزء ٤ ص ١٠٤ بتصرف.

والأدلة على ذلك:

١- قوله تعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾(١)

فالله تعالى قد أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل الأمة الإسلامية فهى صيغة للجميع كما بينت الآية . وإن الأمة الإسلامية لم تنل هذه الدرجة إلا بتطبيق تلك الصفات المشار إليها فى الآية .

وإن الجميع عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله فكما أن الإيمان بالله مطلوب من الجميع فكذلك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الله جمع بين الجميع فى الآية .

[٢] قوله تعالى

: ﴿ قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ﴾(٢)

فاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم يدعون إلى الله تعالى إقتداء بنبيهم كما رسم ووضح لهم ، فكل من أعلن إيمانه بالله ورسوله فهو داع إلى الله .

(ومعنى ذلك أن من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم أن يدعو إلى الله، فإذا تخلف عن الدعوة دل تخلفه هذا على وجود نقص أو خلل فى إيمانه يجب تداركه بالقيام بهذا الواجب، واجب الدعوة إلى الله)(٣) فالإيمان بالله

(١) سورة آل عمران ١١٠.

(٢) سورة يوسف اية ١٠٨

(٣) أصول الدعوة د/ عب الكريم زيدان ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ط دار الوفاء . مؤسسة الرسالة ط١٩٨٧/٣م.

تعالى وتوريثه للآخرين أمران متلازمان في حق كل مسلم ، كل على حب وسعه، ولايكلف الله نفسا إلا وسعها .

[٣] قوله صلى الله عليه وسلم :

(من رأى منكم منكرا فليغيره)[١] الحديث ، وهو خطاب من النبي صلى الله عليه وسلم موجه لأفراد الأمة وآحادها مفادة تحميل مسئولية تغيير المنكر على كل من رآه من المسلمين.

[٤] وإن الدعوة إلى الله بتغيير المنكر، وإقرار المعروف، إذا كانت فرض كفاية[٢] كما ذهب إلى ذلك جمهور أهل السنة ، فإن فرض الكفاية لا بد وأن يؤدي تماما على الذى أحسن، وأن تحصل به الكفاية (فلو قام به بعض المسلمين، ولم يتحقق بقيامهم به الكفاية لايسقط الإثم عن الجميع، فتلك ضميمة من وجهة نظري لابد منها ، وهكذا يجب أن ننظر إلى فرض الكفاية على أنه يجب أن تتحقق به الكفاية)[٣] وإذا لم تتحقق الكفاية يتعين الأمر على كل مسلم ، والواقع أن الكفاية لم تتحقق، فيصير الأمر متعينا .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان

(٢) فرض الكفاية : هو ماطلب الشارع حصوله من جماعة المكلفين لا من كل فرد منهم ، لأن مقصود الشارع حصوله في الجماعة أي إيجاد الفعل لا إبتلاء المكلف ، فإذا فعله البعض سقط الفرض عن الباقين. انظر الوجيز في أصول الفقه د/ عبد الكريم زيدان ص ٣٦.

(٣) د/ على عبد الحليم محمود من علماء الأزهر ك فقه الدعوة إلى الله تعالى ١/ ١٩ ط دار الوفاء ط٣/ ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

[٥] ذهب فريق من العلماء إلى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين فى الأحوال التالية :- [(١)]

(أ) على من يرى المنكر من زوجته وأولاده .

(ب) على من يرى الإخلال بواجب شرعى .

(ج) عل من يرى منكرا لايراه سواه وهو قادر على إزالته .

(د) على والى الحسبة ، فتلك وظيفته .

وأى مجتمع مسلم – فى عصرنا هذا – لا يخلو من تلك الأحوال ،فبيوتنا أصابها الخلل بسكنى الشيطان فيها من خلال التلفاز وغيره ،

والإخلال بالواجبات الشرعية صار أمرا مألوفا لايوجع ضمائر قوم مسلمين ، وهذان الأمران وماوراء هما كفيلان بجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين على كل مسلم ومسلمة .

٦- قوله صلى الله عليه وسلم :-

(الدين النصيحة .. قلنا لمن قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[(٢)]. والملاحظ هنا أن رد الفعل على حديثه صلى الله عليه وسلم من الصحابة كان جماعيا «قلنا» ولم يرد : فقال قائل : وهى إشارة إلى الاستيعاب الذى استقر عند الصحابة أن الدعوة إلى الله والنصيحة واجب كل فرد فيهم . •

---

(١) انظر مفصلا فى صحيح مسلم بشرح النووى /جـ٢ ص ٢٢ ومابعدها.

(٢) رواه مسلم – بشرح النووى– كفاية الريمان باب بيان إن الدين نصيحة ٢/٣٦/٣٧ عن تميم الدارى.

يقول د/ محمود عمارة تعليقا على هذا الحديث :-

إنهم يسألون عن المنصوح ، من هو ؟؟

(ولايسألون عن الناصح ، اعتقادا منهم بأن واجب النصيحة أمر مفروغ منه وإذ تعددت مجالات النصح هنا فذلك يعني شمول المسئولية كل مسلم كل فى حدود طاقته ، وحدود اختصاصه)[1] ولولا هذا الفهم وهذا الأستيعاب لما وجهوا سؤالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم على هذا النحو ولما وصلت الدعوة الإسلامية إلى القارات .

٧- قوله صلى الله عليه وسلم :- (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[2]

والحديث يفيد أن كل مسلم مسئول أمام الله تعالى عن كل مايراه فى رعيته من كسر لايجبره ، ومنتقص لايعوضه ، ومن معوج لايقيمه ، ومن منكر لا يغيره فيما استرعاه الله عليه ، وكلٌ راع ، وكلٌ مسئول عن رعيته.

التوفيق بين الرأيين

إن من ذهب إلى أن (من) فى الآية الكريمة «للتبعيض » نظر إلى قوله تعالى : ﴿ وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾[3]

(١) من كتاب من الذى يغير المنكر وكيف ؟ ص ٢٤.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى / كتاب النكاح / باب المرأة راعية فى بيت زوجها /. ٩/ ٢١٠/ رقم ٥٢٠٠ عن ابن عمر.

(٣) التوبة ١٢٢.

وعلى هذا يكون القائمون على أمر الدعوة طائفة بعينها وهم العلماء الذين يفقهون الأمة الإسلامية فى أمر دينهم .

ومن قال (للتبيين) نظر إلى قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلى أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾[1] ، هوعلى هذا تكون الدعوة إلى الله في حق جميع أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، كل يبلغ على حسب معرفته وهذان الرأيان ليس بينهما كبير اختلاف .

فإن هناك أمورا فى الدين تحتاج إلى علماء متخصصين كالمتشابهات التى لا يعلمها كثير من الناس ، والقضايا الفقهية التى لايسبقنى فيها إلا العلماء .

أما سائر الأمور التى يعرفها المسلمون عامة كوجوب الصلاة والصوم والحج وحرمة الظلم ، والزنا والسرقة .. الخ ، فهذه لاتحتاج إلى متخصصين فى الدعوة إذ أن كل مسلم يعلم أن الصلاة – مثلا – فريضة ، وعلمه بذلك، أوجب عليه الدعوة إليها. لتحقيق هذا الشرط، وهكذا فى كل أمر من أمور الشريعة الإسلامية .

يقول د/ عبد الكريم زيدان :

(لا شك أن الدعوة إلى الخير ، وأعلاها الدعوة إلى الله ، مشروط لها العلم ، ولكن العلم ليس شيئا واحدا لا يتجزأ ولا يتبعض ، إنما هو بطبيعة يتجزأ ويتبعض ، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى وجاهل بالثانية، ومعنى ذلك أنه يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى ، وبالتالى

---

(١) سورة يوسف ١٠٨.

يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ماعلم دون ماجهل ، ولاخلاف بين الفقهاء، أن من جهل شيئا، أوجهل حكمه أنه لا يدعو إليه لأن لعلم بصحة مايدعو إليه الداعي لصحة الدعوة ، وعلى هذا فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذى يعلمه)[١].

وعلى هذا تكون الدعوة إلى الخير مهمة كل مسلم على القدر الذى يستطيعه..

قال تعالى :

﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ أقسم الله بالعصر على أن الإنسان فى خسران، واستثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، وهى إشارة واضحة إلى أن كل الأمة الإسلامية تتواصى بالحق وبالصبر فجاء الحديث بالجمع، فالجميع مكلف بهذا العمل كما هو واضح من سياق النص – القرآنى .

يقول الشيخ سيد قطب :[٢] (فمن خلال لفظ التواصي ومعناه وطبيعته وحقيقته تبرز صورة الأمة – أو الجماعة – المتضامنة الأمة الخيرة – الواعية القيمة فى الأرض على الحق والعدل والخير .. وهى أعلى وأنصع صورة للأمة المختارة .. هكذا يريد الإسلام بأمة الإسلام .. هكذا يريدها أمة خيرة قوية واعية قائمة على حراسة الحق والخير، مواصية بالحق والصبر فى مودة وتعاون وتآخ تنضح بها كلمة التواصى).

١) أصول الدعوة ص ٣١٢.

٢) تفسير الظلال ٢٩٦٨/٦.

وفى هذا دليل واضح على تفاعل الخير فى المجتمع الإسلامى بينما نجد فى المقابل من هذا صورة بنى إسرائيل التى أشربت قلوبهم المنكر والعجل التى يحدث عنها القرآن الكريم :

﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون﴾(١)

لقد انطمست معالم الخير فى نفوسهم فماتت قلوبهم فلم تتمعر وجوههم لإنكار المنكر فاستحقوا اللعن .

وهكذا يتجلى لنا أن المجتمع المسلم مجتمع متفاعل بالخير حريص عليه، وهذا سر تميزه عن سائر المجتمعات ، وأنه بكل أفراده يتناصحون بالحق وبه يعدلون كل على فهمه وعلمه، وكل مأمور أن يبلغ على قدر علمه ولو آية كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

من خلال ماتقدم من الآيات وحديث النبى صلى الله عليه وسلم يتبين لنا أن الدعوة إلى الله واجب كل مسلم ومسلمة، وأن أى مسلم يتقاعس عن أداء واجب الدعوة، وأن أى مسلم يرى الحق مهضوما ولا ينتصر له أو يرى الباطل وقد وقع ولا يعمل على إزالته وتغييره ، فإنه يعرض نفسه إلى غضب الله وسخطه ، وأن التاريخ يحدثنا :-

---

(١) سورة المائدة ٧٨-٧٩.

إن الأمم لم تزل عزتها إلا بسكوتها عن المنكر ، ومحاربتها الفضيلة .

ولنضرب مثالا على ذلك .. لقد رفع الله قدر بنى إسرائيل فقال تعالى :

﴿ يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم علي العالمين ﴾(١)

﴿ وإذ قال موسى لقومه يقوم اذكروا نعمت الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا ، وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين ﴾(٢)

ولقد سقطوا بعد ذلك عن جدارة وتبوأوا دار الفاسقين ، ومقتهم الله وسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب.

والسبب فى ذلك ، أن قلوبهم أشربت المنكر فتلوثت بعد طهارة ، وصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه ..

قال تعالى :- ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرمنهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ، وفي العذاب هم خالدون ﴾(٣)

فأى مسلم لايعيش لقضية الحق، ولايتمعر وجهه إذا انتهكت محارم الله فهو عرضة لمقت الله وغضبه .

---

(١) سورة البقرة ١٢٢ .

(٢) سورة المائدة الآية ٢٠ .

(٣) سورة المائدة الآية ٧٨ - ٨٠ .

وأى مجتمع مسلم تنتشر فيه الموبقات ، ولايسعى للقضاء عليها، هو عرضة كذلك لأن يسلط عليه جنوده التى ليعلمها إلا الله حتى تعييهم لها حصرا أو تعجزهم عليها قضاءا.

وبهذا ندرك سر هذا السقوط الذريع الذى لحق الأمة الإسلامية فنحاها عن كرسى القيادة للأمم، والأستاذية للعالم .

الأصل الثانى

الدعوة إلى الله هى طوق النجاة فى الدارين

لقد اجتبى الله تعالى الدعاة الصادقين ورفعهم فوق عباده درجة ، وجعلهم رأسا فيهم ،قال تعالى : ﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ﴾(١) وجعل صبرهم فى سبيل الله سببا وطوقا للنجاة في الدنيا والآخرة .

فأما كونها نجاة وعزا لأصحابها فى الدنيا ..

فلأنها سبيل إلى معية الله وتأييده ونصره ...

قال تعالى :-

﴿ يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ (٢)

والآية هنا رتبت نصر الله وتثبيته للمؤمنين على نصرتهم له ،فجعلت المبادرة بأيدى المؤمنين ، وقرر وأكد هذا الحقيقة فى قوله تعالى :﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ﴾(٣).

والمراد بنصر الله هو نصر كلمة الله والدفاع عنها وإزالة مايثار حولها من أعداء الله ، فالذى يتحرك فى نصر الحق يدافع عنه وعنه ينافح إنما يستجلب لنفسه رضوان الله وتأييده .

ثم بين تعالى أن الدعاة إلى دينه هم أحسن الناس قولا وأرفعهم قدرا،

فقال تعالى :

﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلي الله وعمل صالحا ، وقال إننى من المسلمين ﴾(٤).

---

(١) سورة السجدة .
(٢) القتال
(٣)الحج .
(٤) فصلت.

والآية هنا دعت إلى أمرين لا يصلح أحدهما بدون الآخر، إصلاح النفس ودعوة الغير .

فمتى تحققت فى شخص تحقق معهما السؤدد والرفعة .

ودليل آخر.

أن الصحابة رضوان الله عليهم سادوا الدنيا بعد أن كانوا عبيدا[1] وعزوا بعد أن كانوا أذلة [2] وعم الخير على أيديهم وكثر واستغنوا بعد أن كانوا فقراء وأزال الله علي أيديهم أغنى مملكتين على وجه الأرض فارس والروم ،وأذل أجرم أمة على أيديهم أمة يهود وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ، وأمدهم بالملائكة فتصرهم بها ، وأسعد نفوسهم برؤيتهم للملائكة وسماع كلامهم ، وتكلم الملائكة على ألسنتهم ، وتشييع الملائكة لمن مات منهم ، وقذف الرعب فى نفوس عدوهم، وأذل الجن والشياطين لهم ، وسخر لهم السباع والوحوش والحيات والهوام ، وأسمعهم صوت الجمادات ، فسبح الحصى فى أيديهم ، وكذلك الطعام ، وسمعوا صوت النار ، وأهل القبور، وأحي لهم الموتى [3] ، ورفع قتلاهم إلى السماء ، وحفظ أجساد موتاهم، وفاح المسك من قبورهم ، وخضوع الذئاب لهم ، وتسخير البحار لهم، فمشوا عليها كما يمشون على الأرض وأجرى الكرامات على أيديهم ، وأنزل عليهم من البركات ماشرقت به الأخبار وغربت ، وطوى الله لهم المكان، فبلغ صوتهم الآفاق كماحدث لعمر وسارية وأبي قرصافة وأبنه..[4]. إلى غير ذلك من الأخبار الصحيحة التى وصلتنا عن صحابة النبى صلى الله عليه وسلم

(١) كانت نظرة الفرس إلى العرب على أنهم عبيد لهم «انظر رد فعل كسرى على رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال : عبد حقير من رعين الكتب اسمه قبلي» الرحيق المختوم ص٤١٩.

(٢) إشارة إلى قول عمر : كان أذله فاعزنا الله بالإسلام .

(٣) تسبيح الحصى ، وإحياء الموتى أثبته محمد يوسف الكاندهلوى فى حياة الصحابة .

(٤) أنظر كتاب «حياة الصحابة» محمد يوسف الكاندهلوى ج٤ ص٣٦١ ومابعدها ط دار النور الاسلامية للطبع والنشر والتوزيع.

والتى تدل دلالة أكيدة إلى أنهم قد استحقوا تلك المكرمات وغيرها ببركة حبهم العميق لدينهم ، وفهمهم الدقيق له ، وتحركهم به فى الناس يدعون إلى الله ويتحملون الإيذاء ويستحملون الصعاب ، ويستعذبون العذاب فى سبيل الدين .

ونزل فيهم قول الله تعالى :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، ومابدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما ﴾ (١).

أرأيت معى أن الدعوة تحقق لأهلها من العز والسؤدد والشرف مالايستطيع أصحاب الجاه والسلطان تحقيقه بجاههم وسلطانهم وأموالهم وجنودهم؟

ورضى الله عمن قال:

إننا نعيش فى سعادة لو علمها الملوك وأصحاب التيجان لحاربونا عليها بالسيوف، إنها سعادة معايشة الدعوة والتحرك لها . فهل بعد هذا نستنكف عنها ويصيب بعضنا الحرج من انتسابه إليها وقيامه بها، أو يتغافل عنها ويؤثر عليها دنيا مؤثرة ؟

وأما كونها نجاة لأصحابها فى الآخرة ..

فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن الدال على الخير كفاعله وأن الداعى إلى الله تعالى يؤتيه الله كفلين من رحمته ، الأول على جهده الذى بذله فى تبليغ الدعوة إلى المدعوين ، والثانى - أن له أجر من عمل بنصيحته، وهذا ماسنوضحه .. بإذن الله تعالى فى الأصل الثالث.

---

(١) سورة الأحزاب ٢٣.

الأصل الثالث

"لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من الدنيا ومافيها"

إن من أعظم الأعمال أجرا وأثقلها في ميزان الداعية أن يتحول على يديه رجل من كفر إلى إيمان ومن معصية إلى طاعة ومن إدبار عن الله إلى إقبال عليه ، ودليل هذا قوله صلي الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه :

(فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم)[1]

وحمر النعم بسكون الميم من (حمْر) وفتح النون والعين فى (النعم) هو لون من ألوان الإبل المحمودة ، قيل المراد خير لك من أن تكون لك فتصدقا بها ، أو قيل تقتنيها وتملكها ، وكانت مما تتفاخر العرب بها)[2].

فعلى المعنى الأول أنه أجر وثواب من اهتدى إلى الله على يد الداعية أعظم ، وأوفر من ثوابه لو كانت له حمر النعم وتصدق بها فى سبيل الدين .

على المعنى الثانى أن ثواب الدعوة أبقى فأجرها لاينقطع وثوابها ممتد بعد وفاته إلى يوم الدين ، أما الأمور الكثيرة المعبر عنها بحمر النعم لاينتفع بها المرء بعد وفاته، بل سيحاسب عليها، فليحرص الداعية على مايبقى ويعم نفعه ويعظم أجره على مايفنى، فلا يكن مبلغ همه المال، وإنما دعوة الناس إلى رب العالمين .

لماذا رتب الله هذا الأجر الكبير لهداية الناس على يد الدعاة

ولقد رتب الله هذا الفضل العظيم على عمل الداعية للاعتبارات الآتية:

---

(١) فتح الباب بشرح صحيح البخارى / كتاب المغازى/غزوة خيبر ٧/٥٤٤ برقم ٤٢١٠ عن سهل بن سعيد.

(٢) انظر فتح البارى ٧/٥٤٦.

[١] إن مثل الداعيـة فى دعوته للناس كمثل من يغرس شجرة ويتـعهدها حتى تؤتى أكلها كل حين . فيعم نفعها ويعظم خيرها.

ولقد قضى الله عز وجل أن يجعل للداعية ثوابا من جنس ثواب المدعو وعلى قدره لأنه كان سببا فيه ، قال صلى الله عليه وسلم : «الدال على الخير كفاعله»(١) أي كفاعله فى الأجر والثواب، يوضح هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم .

«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل اثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئا»(٢).

وفى هذا تحفيز عظيم للدعاة أن يضاعفوا جهدهم لأنهم هم المستفيدون فى المقام الأول من انتشار بقعة الخير على وجه الأرض.

وبهذا أقول كم يكون ثواب أبى بكر الذى حفظ الله به الإسلام بعد نبيه صلى الله عليه وسلم بعد الفتنة العاصفة التى ألزمت المسلمين ديارهم عدا أبى بكر الذى تصدى لها، ولولاه لما قامت للإسلام قائمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتداد المرتدين، ومنع الزكاة، وطمع القوى الخارجية فى الإسلام .. الخ .

وكم يكون ثواب عمرو بن العاص الذى فتح مصر – أرجى بلاد الله إلى الإسلام – والتى تصدت للغزاة وطردتهم عن العالم الإسلامى كالصليبيين والتتار وغيرهم كم يكون ثواب الدعاة إلى الله بأقلامهم وألسنتهم .

(١) رواه مسلم بشرح النووى / كتاب العلم رباب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلاله ١٦/ ٢٢٧/ عن أبى هريرة.

إنه ثواب عظيم لايحصيه إلا الله ..

[٢] أن الدعوة كانت سببا في استنقاذ المهتدى من النار ..

وإذا كان الله تعالى قد استنقذ الناس من النار على يد الداعية الأول صلى الله عليه وسلم ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾[١].

أى أنقذهم منها بنبيه صلى الله عليه وسلم .

إن الرسول المصطفى كان يفرح بهداية الرجل، وكان يقول (الحمد لله الذي أنقذ بى رجلا من النار).

وإذا كان الأمر كذلك، فإنه ينبغى على الداعية أن يجعل هذا شعاره أن يسعى للحيلولة بين الناس وبين النار، ويجعل سعادته الغامرة فى هذا الأمر ويتذكر أن النبى صلى الله ليه وسلم كاد أن يموت حزنا على قومه بكفرهم ، فسرى عنه ربه كثيرا .

بقوله تعالى : ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾[٢].

فعلى الداعية أن يسعى لإنقاذ الناس من النار لكى ينال شرف مرافقة النبى صلى الله عليه وسلم في الجنة ..

[٣] إن المهتدي على يد الداعية يكون عونا للداعية على الحق ، ورداء يصدقه، يشد الله به عضده، ويكثر به سواده ..

---

(١) آل عمران ١٠٦.
(٢) الشعراء ٣.

ولايدرى الداعية ، فلعل فى هداية هذا المنحرف خيرا كثيرا ، ويكون أمة، فثمامة بن أثال لما أسلم ، وكان قد أصاب من المسلمين مقتلا ودبر الكيد للإسلام وأهله، لما أسلم استطاع أن يشكل حصارا اقتصاديا على قريش أشرفوا فيه على الهلاك ، وذلوا بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم يسألونه التوسط لدى ثمامة. ونعيم بن مسعود- وحده- كان سببا فى فشل الأحـزاب يوم الخندق وذهاب ريحـهم ، ورجـوعـهم إلي ديارهم منكسى الرؤوس؟ وتحيقق نصر عظيم للإسلام ، ورفع رايته ، وفتح باب خطير على المتآمرين من اليهود، وتطهير الأرض منهم؟ فقد يوفر هذا المهتدى مجهود سنين عددا يوم أن يشرح الله صدره لهذا الدين ..

[٤] إن هداية رجل إنما هو نصر للإسلام :

خاصة فى زمن وهنت فيه قوى الأمة الإسلامية وضعفوا واستكانوا ولم يستطيعو القيام بنصرة هذا الدين ، بإعداد القوة التى أمرهم الله بها.

تثمر دعوة الدعاة عن أعضاء جدد ينضمون للإسلام كل يوم، وهكذا مع توالى الأيام يكثر عدد المسلمين ، ويقل فيه عدد الكافرين، فينتقص الله أرض الكافرين من أطرافها..

يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوى تعليقا على قوله صلي الله عليه وسلم (حينما سئل: أى المدينتين تفتح أولا : قسطنطينية أو رومية ؟ فقال : مدينة هرقل تفتح أولا) (ورومية هى : روما عاصمة إيطاليا الآن ، والقسطنطينية هى استنبول)، وقد فتحت استنبول ودخلها الإسلام على يد محمد الفاتح فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى وبالتحديد

يوم الثلاثاء ٢٠ من جمادى الأولى ٨٥٧ هجرية ، ١٤٥٣/٥/٢٩م، ويبقى الجزء الثاني من البشرى : فتح رومية ، وبه يدخل الإسلام أوربا مرة أخرى بعد أن طرد منها مرتين مرة من الأندلس ، ومرة من البلقان .. وظني أن الفتح سيكون بالقلم واللسان، لا بالسيف والسنان، وأن العالم سيفتح ذراعيه وصدره للإسلام بعد أن تشقيه (الأيدلوجيات) الوضعية، ويتطلع إلى مدد من السماء وهدى الله فلا يجد إلا الإسلام طوقا للنجاة)[1].

وماقال الدكتور القرضاوى هذا القول، وتنبأ هذا التنبؤ إلا لما يراه من دخول الناس فى دين لله أفواجا فى بلاد الكفر – وإذا كان هذا ونحن على هذا الحال من الضعف فما بالنا ، يوم أن تستغل طاقات الأمة الإسلامية وتوجه إلى دعوة البشرية إلى الإسلام. فسوف يقترب ذلك اليوم الذى يدخل الناس فيه الإسلام أفواجا .

والخلاصة :أن الداعية كلما تعب كلما استراح ، وكلما ضم للإسلام فردا جديدا كلما أقترب من فتح باب النصر .

---

(١) من كتاب المبشرات بانتصار الإسلام ص ٢٨-٢٩ – مكتبة وهبة ط١ ١٩٩٦.

الأصل الرابع

أن ثواب الداعية متوقف على حركته لا على ثمار دعوته

لأننا مأمورون فقط بالبلاغ، أما القلوب فهى بيد الله وحده يقلبها كيف يشاء ومن هنا فإن الداعية مثاب على أداء ماكلف به فقط وهو البلاغ.

وذلك لقوله تعالى : ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ [1] ، وهو أسلوب قصر وحصر لمهمة الرسل ، وهو البلاغ الذى يعذر به القائمون عليه، حين يكذبون ولايستمع إليهم ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ ﴾[2].

ولقد بلغ بعض الأنبياء دعوة ربهم وتكبدوا المشاق فى سبيل ذلك حتى لقوا ربهم لم يستجب لهم فرد واحد، ومع ذلك أثابهم ربهم بفضله ومنته وأهلك الظالمين [3].

ولقد ضرب الله المثل بنبيه نوح عليه السلام فى طول مدة دعوته واستنفاذه كل الوسائل وسلكه كل السبل فى سبيل هدايتهم ..

قال تعالى :-

﴿ ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون ﴾[4].

ألف سنة إلا خمسين عاما مدة لقائه فيهم داعية، وكانت المحصلة :

﴿ وماآمن معه إلا قليل ﴾[5] كانوا ثمانين إنسانا كما ذكر بن عباس[6]

(١) النحل الآية ٣٥ (٢) الشورى الآية ٤٨.
(٣) إشارة إلى قوله تعالى : {حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين } يوسف ١١٠.
(٤) العنكبوت الآية ١٤، هذا من عمره مبلغا عن ربه أما عمره كله فقد بلغ ١٧٨٠ عاما «قصص الأنبياء»
(٥) هود الآية ٤٠ . (٦) تفسير القرطبى ٩/٢٣.

فالداعية ليس مطالبا بتحقيق الثمار إنما هو مطالب فقط بالبلاغ المبين.

قال تعالى لنبيه صلي الله عليه وسلم :-

﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء﴾[1]

﴿إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾

يهدى من يعلم الخير فيه فالله لايعطى الدين إلا لمن أحب، فالرسول صلى الله عليه وسلم دعا الله بأن يعز الإسلام بأحب العمرين إليه - عمرو بن هشام وعمر بن الخطاب، وكان قد وصلتهما دعوة الإسلام ، فالله يختار مايشاء ، فهدى عمر بن الخطاب، لأن كفر عمر كان يستر تحته قلبا عظيما، أما أبو جهل فقد كان كفره أصله ثابت فى قلبه ، فالأول بدركه الله برحمته لأن إسلامه سيكون فتحا ، وأبو جهل يكله لنفسه لأن إسلامه سيكون غلقا لأبواب الخير .

يقول د/ همام عبد الرحيم :-

وفى هذه القاعدة علاج لاولئك المتعجلين من الدعاة الذين ينتظرون النتائج الدنيوية الظاهرة ، ويجعلونها شرطا للمواصلة والسير فى طريق الدعوة ، وهذا التلازم إنما هو سوء فهم من جه ، ومخالفة صريحة لقواعد الدعوة فى القرآن والسنة من جهة أخرى)[2].

---

(١) البقرة ٢٧٢ . (٢) القصص ٥٦.

(٣) انظر : قواعد الدعوة إلى الله / ص ٢١-٢٢ - دار الوفاء.

فما على الداعية إلا أن يبذل قصارى جهده ويستنفذ الأسباب ، ويعلم أن النتائج بيد الله وهى مضمونة ، لأن وعد الله لن يتخلف، لكنها لن تتحقق إلا إذا استفرغ الدعاة جهدهم وبذلوا قصارى جهدهم ، واستنفذوا كل السبل المتاحة لهم ، قال تعالى:

﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾.[1]

والشاهد فى الآية .. أن الرسل سلكوا للمدعوين كل طريق واستفتحوا عليهم كل باب فأوصدت كل السبل في طريقهم حتى وصلوا إلى درجة اليأس من الاستجابة حينئذ أدركتهم رحمة ربهم فرفع عنهم الحرج وساق إليهم فتحا قريبا ونصرا مبينا نجى الله به أولياءه - وأهلك من أراد من الدنيا علوا وفسادا فنصر الله المبين لن يخالف الدعاة إلا إذا استنفذوا طاقتهم، واستغلوا كل السبل فى الوصول لأهدافهم أما التراجع من بعض الطريق فهذا سبيل قصار النفس لا سبيل الدعاة الصادقين .

---

(١) يوسف ١١٠

الأصل الخامس

على الداعية أن يستنفذ جهده، ويبذل واسع طاقته ثم ينتظر عون الله.

لقد ضمن الله لجنده الغلبة والنصر والتمكين ، بشرط أن يؤدوا الذى عليهم من واجبات ولن يتسنى لهم ذلك إلا إذا اتقوا الله حق التقوى ، فهذا سبيل نصرهم ، لهذا نادى الله المؤمنين فقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾[1]

إن حق التقوى لله أن لا يفرط الداعية فى حق من الواجبات المنوطة به وإن يطرق كل سبيل متاحة لتوصيل الدعوة إلى الناس، وذلك على النحو الذى صوره لنا القرآن الكريم فى سورة نوح عليه السلام : (٥-١٢).

﴿قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا ،فلم يزدهم دعائى إلا فرارا وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إنى دعوتهم جهارا ، ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا مالكم لاترجون لله وقارا ﴾

فقد بينت تلك الآيات أن نبى الله نوحا عليه السلام لم يفرط فى لحظة من ليل أو نهار إلا وقد أستغلها فى الدعوة، وفى ذلك إشارة واضحة إلى إيمانه عليه السلام بأن الدعوة وظيفته فى الحياة ليس له وظيفة غيرها ..

وكان يعقد لهم اللقاءات العامة ، ويحرص على مخالطتهم فى أسواقهم ومنتدياتهم وفى أفراحهم وأتراحهم..

---

(١) آل عمران - ١٠٢.

فلما أعيته الوسائل العامة، وسدت فى وجهه الشريف ميادين الدعوة العامة بدأ يركز على الدعوة الفردية ، والتى عبر عنها القرآن فى قوله تعالى ﴿ وأسررت لهم إسرارا ﴾ بدأ يلتقى بمن يحسن به الظن منهم ، ويتوسم فيه الخير، يلتقى به بعيدا عن المؤثرات العامة وبعيدا عن أعين الملأ الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ..

وهو فى لقائه بهم فرادى ومجتمعين قد استخدم معهم أسلوب الترغيب والترهيب حينما بين لهم ثمار الطاعة وبركات التوبة ، وحذرهم من مقام ربهم ، ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا ﴾.

وبهذا يقدم لنا القرآن الكريم نموذجا مشرقا لواحد من أنبياء الله – وكلهم على هذا النحو – وكان آخرهم رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى قال له ربه ﴿ ياأيها المزمل قم الليل إلا قليلا ﴾ ﴿ ياأيها المدثر قم فأنذر ﴾ لم يأمره بمجرد الإنذار .. ياأيها المدثر أنذر الناس ، لا .. ولكن لا بد من القيام بأمر هذا الدين تبليغا ، قيام لا قعود بعده وحركة لا سكون بعدها ، ومن هنا نراه صلى الله عليه وسلم قد استوعب هذا النداء الإلهى، فجعل عنوان حياته (انتهى عهد النوم ياخديجة).

وقام صلى الله عليه وسلم يدعو قومه ليلا ونهارا ، وكان ليله نهارا يقوم بين يدى رب العالمين يدعو لقومه بالهداية للإسلام ، ويقوم بالنهار بين ظهرانيهم يحسن عرض الإسلام عليهم ، ولما عقمت بطون مكة أن تلد للإسلام غير أبنائه الذين آمنوا مع النبى صلى الله عليه وسلم طفق صلى الله عليه وسلم يجوب البطون الأخرى والقبائل المتناثرة على أرض الجزيرة الشاسعة ..